

السيارة الملعونة !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كان لي - في وقت من الأوقات - سيارة من طراز لا أعينه « تَسَعُ السَّبْعَةَ الأقاليم طراً » ولم تكن بي حاجة الى كل هذه السعة ، فاني ، كما يقول ابن الرومي :

أنا من خف واستدق ، فما ينقل أرضاً ، ولا يسدّ فضاءً
و كنت إذا اتخذتُ مجلسي فيها لا أملأُ إلا إصبعين منها ،
و كانت زنتها نحو طنين ، أو بضعة قناطير ، وأدع للقاريء
حساب ذلك ، فإلى قبيل الحساب أو سيره عليه ؛ و ما حاجة
مثلي الى الحساب والبراءة فيه وكل أشياء تمد بالآحاد ، فان كثرت
جداً في العشرات ؟؟ فانا أ كسب المال قرشاً قرشاً ، وأنفق ما
أ كسب حتى قيل أن بصير في كفي ، فما يستقر منه في جيب
شيء ، فكأنني ساعي بريد ، لفسيره لاله ما يتمب في حمله ويحني
قدميه وهو يدور به على البيوت ! وما رأيت في حياتي ورقة
بمائه جنيه ! وللبنك الأهلي غرف منحدره في الأرض ، ولها
نوافذ عليها شباك من السلك المنسوج ، وحديد متمارض ،
فهى تؤدى الضوء ولا تنفذ منها اليد مع الأسف ! وفي هذه
الغرف تجلس فتيات الى مكاتب صغيرة عليها حزم مكدسة من
أوراق النقد المختلفة يحتمنها بحتم المدير أو لا أدري ماذا يطبعن
عليها ، وكثيراً ما أقف بهذه النوافذ وأنظر الى الفتيات ، أو على
الأصح الى الأوراق - أعني الى التروات - التي في أيديهن ،
فأتهجد وأحسر ! وماذا تحسر الدنيا - أو البنك فانه هو الدنيا في
تلك الساعات - إذا انتقلت الى يدي بقدره ربك - أو بمطف
إحدى الفتيات - حزمة واحدة من هذه الأوراق الكبيرة ؟؟
أيفلس البنك ؟ كلا ! أيقبل الورق المتداول ؟ كلا أيضاً ! فاني
بارع في إتلاف المال ، فاذا صار في يدي كثر التداول ولم يتقص ،
واقعد فتني منظر الورق مرة فطال وقوفي ونفد صبري ، وخرج
الرشد من أصابع كفي ، فصحت بالفتاة الجميلة : « هس
هس ! »

فرفت رأسها الى النافذة ونظرت ثم ابتسمت وعادت الى
ما بين يديها
فعدت أصبح بها : « هس هس !
فصعدت عينها مرة أخرى فأسرعت أقول : « يا بنت
الحلال ! إن مئى النفس جميعاً في حزمة من هذه الحزم الكثيرة
- وفيك أيضاً لو تجودين ! - فهلا أعطيتني مما أعطاك الله ؟ »
ولا أدري ماذا كان جوابها ، فقد شعرت بيد غليظة على كتفي ،
فالتفت ، فاذا شرطى ضخيم ، فقلت لأطمئنه : « منظر جميل جداً ،
إن البنات يعملن بسرعة عجيبة . وأقول لك الحق ، إنهن جميلات !
من أين يأتى يجمعنهم ؟ ألا تعرف ؟ لشد ما أتمنى أن يكون
عندي ولو عشرين حزمة - أعني بنتاً - من أمثالهن ! »
فضحك ، وسرني ضحكه جداً ، فخيته بأدب جم ولطف
كثير ، وتواضع جميل ، وقلت وأنا أودعه :

« اجعل بالك الى اليهن ، لاندعهن يفبن عن عينك !
فان لي فيهن والله لمآرب ! إيه ما أحلى أيديهن الرخصة البضة !
ليتنى أستطيع أن أضع كفي على كف واحدة منهن ! ألا تمنى
ذلك يا صاحبي ؟ متع عينك بالنظر يا أخى ! متعها ، متعها ! وهل
أقل من النظر ؟ »

ولكن سيارتي ، تلك على جمالها وضخامتها وسعتها ، أرتنى
النجوم في الظهر الأحمر ، ذلك أنها كانت تستنفذ من البنزين
والزيت كل ماهو معروض في دكا كينهما على طريقها ، ثم لا
تشبع ، حتى لقد فكرت في أن أصل خزائنها بأبار الموصل !
وكثيراً ما هممت بأن أغالطها وأدور من وراء خديعتها ، وأملأ
لها خزائنها ماء بدلاً من البنزين ، وأنا أقول لنفسى : « ومن
أدراها أن هذا ماء لا بنزين ؟ » ثم إن خزان الماء كان يغلي كالرجل
بعد دقائق قليلة من السير ، فتبدو لي علامة الخطر الحمراء ،
فأقف وأغير لها الماء ، ثم أستأنف السير ، وهكذا ، وهذا في
الشتاء فكيف بها في الصيف ؟ ولهذا صرت أشتري الثلج ،
وأقتته ، وأحشو به خزائنها بدلاً من الماء ، ولا أركبها إلا ومسى
ذخيرة كافية من ألواح الثلج على القاعد الخلفية
ولو اقتصر الأمر على هذا لمان الخطب ، ولأمكن احتمال
المصاب ، ولكن محاور المعجلتين الخلفيتين كانت مبرية المسالط

الأورا . فوقفت في وسط الميدان ، وأمرت الخادم أن يصلح ما فسد ، ورحت أنا أتمشى على الأفرز وأدخن سيجارة حتى يفرغ من هذا الأمر ، فجاءني يقول ان المحور قد انكسر !

قلت : « همم ! شئ جميل ! خبر سار جداً . الثلج حملناه ، والبزيرين هذه ذخيرة وراءنا كأننا على سفر الى القطب الشمالى . فلم يبق إلا أن نحمل معنا دكاناً كاملاً من أدوات السيارات والقطع اللازمة لها ! لا بأس ! غداً إن شاء الله نعمل ذلك . أما الليلة فعليك يا صاحبي أن تدخل في السيارة وتناقها عليك - أبوابها ونوافذها فن البرد شديد - ونحفظ العجلة التمردة وتنام الى الصباح ، وإنه ليؤسفى أن لا أنيس لك في هذا الميدان الموحش سوى تمثال إبراهيم باشا ، ولكنه كان بطلاً ، فاحلم بوقائمه الى الصباح . . . عم مساء والى اللتى ! »

وأقسمت لأبيعها ، فما بقى لى على ألا عيبها صبر ، ومضيتُ بها - بعد إصلاح محورها - إلى الدكان الذى اشتريتها من صاحبه ، وقلت له « بمها بأى ثمن ؟ فما يمينى إلا أن أخلص منها » وكان بينى وبينه ود ، فسألنى « هل تباعها بنصف ثمنها ؟ »

قلت : « وبثلثه - بل ربعة ! »

قال : لا لا . حرام . انها سيارة نعمة ! ولو عرضتها بهذا الثمن الزهيد لظن الناس الظنون ، ولتوهوا أن فيها عيباً لا يداوى ، وأخلق بهم حينئذ أن ينصرفوا عنها ويزهدوا فيها » فسألته « بكم تنوى إذن أن تعرضها ؟ »

قال : « بمائة جنيه - »

فصحت « يا خبر اسود ! بمائة ؟ إن هذه سرقة ! »

قال : « لا تكن أبله . . . مالك أنت ؟ »

وبقيت عنده أسابيع ، لا يشتريها أحد ، فمررتُ به يوماً فالفيتته خارجاً ، فرحامنى أن أنتظره حتى يعود . . . دقائق لا أكثر . . . وأخبرنى أن سيدة ستحضر ، فإذا جاءت قبله ، فعلى أن أستقبلها وأحببها حتى يرجع

وذهب . وجاءت السيدة ، فلم يسعنى إلا أن أنهض لاستقبالها ، لأن صاحب الدكان كلفنى ذلك ، بل لأنها كانت أجمل من أن يستطيع امرؤ أن يجروا على إهالها ، فقالت :

« هل أنت المسيو . . . ؟ »

والأسنان التى تنشب و العجلة وتعلق بها فلا تدعها تفلت ، ولم أكن أعلم هذا ؟ وأنى لى أن أعرفه وهو شئ محجوب لا يدور لعين الناظر ؟ وكان فسد هذه الأسنان لا يحدث أثره إلا وأنا فى أرض خلاء ، لا أنيس فيها ولا ديار بها ، فأكون ساثراً مغتبطاً راضى النفس ، منشرح الصدر ، وفى يمينى سيجارة أنعم بتدخينها ، وفى عيني تبسامة عذبة ، وعلى لساني - أو شففى ، لا أدرى - ألحان أعبية جميلة ، وأكون قد خرجتُ من الدرمان ، وأطلقت لها العنان لتتهب فضاء الصحراء - حيث كنت أسكن - وإذا بصوت يقول « كركركركركركرك . . . » وإذا باحدى العجلتين الخلفيتين قد خرجت من محورها وذهبت تجرى وحدها فى الطريق وإذا أنا مائل على جنبي ! فلولا حضور ذهنى ، وسرعة خاطرى ، وثبات جنائى ، لانقلبت فى السيارة ، ولانتقل المازنى - بعد أن يجذوه - إلى رحمة الله ، أو على الأقل إلى المستشفى !

وأفتح الباب ، وترجل ، وأدور بها لأنظر ماذا حدث ، ثم أقول :

« شئ جميل ! ولكن هل كان من الضرورى جداً أن تصنى هذا هنا على الخصوص ؟ ألم يكن من الممكن أن يحدث هذا فى شارع محمد عى ، أو القلعة ، أو غيرها ، حيث الناس يروحون ويحيثون بلا انقطاع ؟ أو أمام البيت على الأقل ؟ سبحان الله العظيم ! ما هذه الطبايع الصيبانية ! »

وأذهب أبحث عن العجلة الطائرة ، ثم أدرجها عائداً بها ، وأخلع المطف والسترة ، وأرفع الأكام ، وأبس توب « العمل » الأزرق ، فقد احتجت إليه فرصت عليه ، وأخرج الآلة الرافعة ، وعلبة الرزات (١) ، وأحمد الله على أن المحور سليم لم ينكسر ، وأرد العجلة الى مكانها ، ثم أتوكل على الله وأستأنف السير .

ولكن ما كل مرة تسلم الجرة ، فكنت كلما ازدردت احتياطاً لهذه المفاجآت ، زادتنى هى افتناناً فى الحيل والمكر السوء ، وقد اضطررت أن أتخذ لى خادماً بصحبنى فى السيارة ليعيننى على بلائها ، فحدث مرة وأنا عائداً الى البيت ، وكان الوقت منتصف الليل ، أن كركرت العجلة - على عاداتها - وطارت فى ميدان

(١) الرزة حديدة تدخل فى القفل أو نخوه ، وقد استعملتها هنا لا يسونه « النيلة »

حجر بهشتون

مفتاح الكتابة السمرية

بقلم الأستاذ كوركيس حنا عواد

١ - تمهيد

لئن كان حجر رشيد وثيقة تاريخية خطيرة الشأن أدت إلى فك رموز الكتابة الميريغليزية^(١)، وفتحت ما استغلقت من المدينة المصرية القديمة وأوضحت ما أشكل فيها، فإن حجر بهشتون يعتبر ولا مرءاء وثيقة هامة جداً موازية لرفيقها في الكتابة، لكونها أدت إلى فك رموز الكتابة السمرية، وأتارت السبيل أمام العلماء والباحثين للتطلع إلى الماضي البعيد والتعرف بالديانات الآشورية والبابلية...

على الطريق الرئيسية الموصلة بين بغداد وطهران، يقع هذا الأثر المدهش الذي هو من أعظم الآثار التاريخية في آسيا. ويمد عن همدان^(٢) بمسافة ٦٥ ميلاً، وعن كرمشاه بائتين وعشرين ميلاً وعُرف هذا الصخر قديماً باسم جبل باغستان البالغ ارتفاعه ٣٨٠٠ قدم. وقد أطلقت هذه التسمية على هذا الأثر نظراً لوجود تلك القرية الصغيرة المسماة بهشتون عند أسفل الصخر، وأصبحت هذه التسمية هي المتعارفة بين علماء الآثار والتاريخ من الأجانب. وكان السر هنري رولنسن Sir H. Rawlinson قد استعار هذه التسمية من ياقوت الحموي الذي أتى في معجمه الجغرافي على ذكر هذه القرية ونبوعها فقال: «... قرية بين همدان وحلوان... وجبل بهشتون عال مرتفع ممتنع لا يرتقى إلى ذروته... ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس كأنه منحوت، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهه ومُلس، فزعم بعض الناس أن بعض الأكارسة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل

(١) أنظر بحث الأستاذ عبد الفتاح الزبدي: حجر رشيد والقلم

الميريغليزي، (الرسالة ٢: ٤١١ - ٤١٤)

(٢) همدان مبنية فوق بقايا المدينة التي كان يسميها الفرس «حاكاتانا» ومنها «ملتقى الطرق الكثيرة». أما اليونانيون فقد دعوا «اكيتانا» وسيرد ذكرها في هذا البحث

قلت: «ليتني كنته! إذن لربحت في العام ثلاثة آلاف من الجنيات! كلا! لقد خرج وسيمود بمد قليل جداً... تفضلي!»

فأجالت عينها حتى وقمت على سيارتي فقالت

«هل هذه معروضة للبيع؟»

قلت «أظن ذلك! أعني نعم!»

قالت «إنها جميلة.. ضخمة.. نفحة... (وفتحت بابها)

وثيرة المقاعد.. بديعة.. كم تمها؟»

فتنحنت وقلت «إ... أ... تمها! إ... مائة جنيه!»

قالت «تمن معقول.. ليست بغالية»

قلت «ولكنها لا تصلح لك.. أعني أن عيوبها فظيمة!»

قالت «عيوبها؟ إنه لا عيب فيها!»

قلت «الماء يقلى بمد دقائق»

قالت «طبيبي...»

قلت «تحرق وفوداً كثيراً.. تحتاج إلى جالون من البنزين

كل أربعة أمتار»

قالت «لا تبالغ... إنها كبيرة ضخمة، فمن السبقول أن

تحتاج إلى وقود كثير»

قلت «والمجمل بطير أثناء السير»

قالت «أوه! ما هذا الأسراف في الطمن؟ هل أستطيع

أن أجربها؟»

فخرجت بها، ودرنا بها دورات، ولم أرحمها - أعني

السيارة - لأبرز لها - أعني للسيدة - عيوبها - أعني السيارة هذه

المرّة - فما كان في السيدة هنة، ولكنها كانت كأنها مسجورة،

فلا البنزين القليل الذي وضعته فيها نفذ، ولا الماء غلا، ولا

العجلة طارت

وقالت السيدة «أترى كيف كنت تبالغ؟ إن ماءها بارد

كالثلج! ولا يزال أكثر البنزين باقياً، والعجلة في مكانها

ثابتة. لو كان كل تاجر يصد الزبائن كما تفعل، لحرب!»

فلم تبق لي حيلة، وجاء صاحب المحل فتمت الصفقة،

وحسب لي نصيبي من الثمن، مقدمة لثمن سيارة أخرى...

ولا أدري ماذا كان من أمر السيارة مع هذه السيدة المسكينة

ولكنه لا ذنب لي، فقد حذرتها وأبذرتها، وأبذرتها ذمتي

إبراهيم عبد القادر المازني